راسا على عقب ، وحول معارك الجنوب من حرب لانقاذ فلسطين الى عمل لانقاذ الجيش المحاصر ، حيث اصبح الوصول الى القوات المحاصرة وامدادها بالمؤن جزءا اساسيا من عمل قوات المتطوعين ، اضافة الى ان شل القوات النظامية قد قلل من فعالية قوات المتطوعين ، التي مهما بلغت من القـوة في ذلك الحين ، فان فعالية عملها انما كان في تكامله مع القوات النظامية العاملة في تلك المنطقـة .

لقد ترتب على الوضع الجديد للقوات المصرية حريـة اكبر في التحرك للقوات الصهيونية ، لان بقاء هذه القوات الكبيرة في الفالوجة ترتب عليـه ضياع مدينة بئر السبع ، واعطاء اليهود فرصة التجمع في مستعمرات النقب ، وما اعقب ذلك من انهيار القطاع الجنوبي : عسلوج ـ الفالوجة ، ثم اقتحام اليهود لحدود مصر الشرقية ، والزحف حتى مشارف مدينة العريش .

بعد ان اخليت اهم المناطق ، وحوصرت الفالوجة ، وعزلت قـوات المتطوعين المصريين في جبال الخليل ، وقعت القيادة المصرية في مأزق حرج ، لم تستطع معه السيطرة على الموقف ومواجهته بما يحتاجه من حكمة وحزم ، ولم يضيع اليهود الفرص ، فشددوا من هجومهـم على حامية مدينة بئـر السبـع ـ مفتاح فلسطين الشرقي ، وشددوا الحصار على النقب .

وقد استنجدت هذه الحامية بقيادتها العامة ، وتوسلت اليها ان ترسل بعض الجنود والسلاح حتى يمكنها الثبات امام هذه الهجمات المتكررة ، ولكن القيادة العامة كانت في شغل شاغل آنذاك . وهكذا ، تركت بئر السبـع لتواجه مصيرها المحزن في ايدي حامية صغيرة مـن الجيش ، ومجموعات مفككة من المتطوعين (١٢) .

بعد ان شل قطاع اساسي مـن الجيش المصري عن العمـل ، قامت الحكومة المصرية بتبديل قائد الجيش ، حيث تقرر سحبه من الميدان ، وغادر فعلا في ١٩٤٨/١١/١١ . وبهذا التبديل ، الذي تم بحجة ايقاف التدهور في وضع الجيش المصري ، كانت الحكومة المصرية تحاول ايجاد كبش محرقة بتحميل القائد المقال مسئولية ما حدث على الجبهة الجنوبية . وبعد ان اصبح وضع الجيش على ما هو عليـه ، بدأت المحاولات لانهاء قـوات المتطوعين المصريين الذين « كانوا لا يزالون حتى ذلك الوقت يحتلون المواقع المحيطة بالمستعمرات ، منزلين الخسائر الكبيرة بالعدو » (١٣) .

وكانت الخطوة الاولى من الحكومـة المصرية « امـرا يقضي بسحب المتطوعين من المواقع التي يحتلونها وارجاعهم للمعسكرات » (١٤) . وعلل ضباط القيادة طلبهم هذا باعتبارها « تعليمات واردة من القاهرة » . وعندما